

المزلق الخامس: مشكلة العقل

بيان المزلق:

بالعقل عرفت صحة النبوة وصدق الوحي، فلا بد من اعتباره مرجعاً في حال اختلف مع النصوص، لأن دلائلها ظنية خبرية بالمقارنة إلى قطعية الدلالة العقلية. ولا شك في تقديم الدلالة الأقوى مقصود مطلوب.



أولاً: مقدمات حول العقل

العقل في اللغة:

مأخوذ من الحبس والمنع ,لأنه يعقل صاحبه، أي: يحجزه ويمنعه عن الوقوع في الهلكة.

العقل في الإصطلاح:

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: العقل عقلان:

- عقل غريزي
طبعي، هو أبو العلم ومربيه.
- وعقل كسبي
مستفاد وهو ولد العلم وثمرته.

فصلها ابن تيمية على أربعة معانٍ:

● علوم ضرورية يفرق بها بين المجنون الذي رفع القلم عنه وبين العاقل المكلف.

● علوم مكتسبة تدعو الإنسان إلى فعل ما ينفعه، وترك ما يضره.

● العمل بالعلم .

● الغريزة التي بها يعقل الإنسان.



العقل في القرآن:

لم يذكر لفظ العقل في القرآن وإنما ذكرت تصاريفه والأسماء المتضمنة له.

من معاني العقل في القرآن: فهم الكلام, عدم التناقض في القول, اختيار النافع وترك الضار, الاعتبار. فهم دلالات الآيات الكونية, وهذه المعاني تعود إلى اختلاف وظائف العمل العقلي.





المسألة الثانية: هل محل العقل
هو الدماغ أو القلب؟

(الصواب في ذلك أن مبدأه
ومنشأه من القلب، وفروعه وثمرته
في الرأس، وقد دل القرآن عليه
بقوله: { فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ
بِهَا }، ولا يراد بالقلب مضغة اللحم
المشتركة بين الحيوانات بل المراد
ما فيه من العقل واللب)



المسألة الأولى: هل العقل
جوهر أم عرض؟

الذي عليه أهل السنة
والجماعة أن العقل عرض
أوصفة لموصوف.

ثانياً : منزلة العقل في الخطاب الشرعي



الوقفه الأولى :

منزلة العقل في الشرع معتدلة, فثمة احتفاء شرعي به مع ضبط لمجالات عمله بلا غلو ليكون الحجة المهيمنة على كافة الأدلة, ولا جفوة تلغي حجيته ووظيفته.



الوقفة الثانية:

من مظاهر احتفاء الشريعة بالعقل:

- جعل الانتفاع بالقصاص والمواعظ وغيرها مقصور على أصحاب العقول.
- جعل العقل أساساً في استنباط الأحكام والنظر في الأدلة. فكلما كان أكبر وأوفر كان أقدر على الاجتهاد وبضعفه تضعف ملكة الاجتهاد.
- جعله مناطاً للتكليف.
- جعله أحد الضرورات الخمس التي جاء الإسلام للمحافظة عليها.
- نعى الله على من أطفؤوا نور عقولهم بتقليد غيرهم وبيّن مغبة ذلك.

ثالثاً: مجالات العمل العقلي:

بالرغم من تكريم الإسلام
للعقل وحثه على استثماره
فيما ينفع إلا أنه حدد له
مجالات حتى لا يضل. وفي
هذا تكريم له.

إدراك العقل مجمل؛ فلا يمكنه
إدراك كل التفاصيل أو الغيبات
وتفاصيل التعبدات واستبانة
وجه الحكمة فيها بغير الوحي.
فإذا تفهمت مدى محدودية
القدرة العقلية استطعت أن
تفهم معنى منع الإسلام العقل
من الخوض فيما لا يدركه.



العقل عنده قدرةٌ محدودةٌ على التحسين
والتقبيح من جهتين:

الثاني: أنها ملكة لا تستتبع
التكليف الشرعي ولا يترتب
عليها الثواب والعقاب.

الأول: أن قدرته
محدودة لا تشمل
كل شيء.





رابعاً: العقل بين الوحدة والاختلاف:



العقل من الأمور النسبية الإضافية غير المنضبطة التي يتفاوت فيها الناس تفاوتاً عظيماً، فإن زيداً قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر بعقله.

قال ابن القيم : بعقل من منكم يوزن كلام الله ورسوله ؟ وأي عقولكم تجعل معياراً له ؟



أولاً : أن العقل ليس أصلاً
لثبوت الشرع, ولذا لا يمكن أن
يكون تصديق الرسول فيما
أخبر, معلقاً بشرط ولا موقوفاً
على انتفاء مانع, بل لا بد من
تصديقه في كل ما أخبر به .


خامساً: سؤال التعارض
بين العقل والنقل:

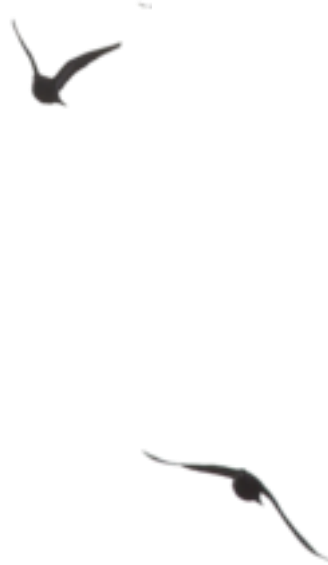


ثانياً: أن العقل آلة
استنباط من النقل
وقد تصيب وقد
تخطئ.

رابعاً: أن الأصل في المسائل
الشرعية أن تكون مأخذها مُبَيَّنَةٌ
في النقل فيتقدم النقل فيكون
متبوعاً، ويتأخر العقل فيكون
تابعاً.

ثالثاً: أن العقل الصريح
جاء بالدلالة على كثير
مما دل عليه النقل،
كإثبات وجود الله تعالى.





خامساً: أن النقل قد يجيء بأمر
لا قول للعقل في إثباته أو نفيه,
فمجرد التوقف أو الحيرة لا تبيح
رد النقل. مما قاله ابن تيمية
رحمه الله في تقرير هذه الحقيقة:

(يجب الفرق بين ما يعلم العقل بطلانه وامتناعه, وبين ما يعجز
العقل عن تصوره ومعرفته.
فالأول: من محالات العقول. والثاني: من مهارات العقول.
والرسل يخبرون بالثاني).

من أحسن وأشهر من كتب في نقد شبهة المعارضة بين
العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه
العظيم (درء تعارض العقل والنقل).

ترد هنا إشكالية
(أنتم ليس عندكم إلا ابن
تيمية).

وقائل هذا الكلام وقع في إشكالية:

عدم تصور طبيعة
فقه ابن تيمية. وأنه
تميز بأمر جعلته
من الطبيعي جداً أن
يحظى بموقع متميز
في خريطة الخطاب
الشرعي المعاصر.

عدم تصور واقع
الخطاب السلفي. وأن
طريقة الصحابة في فهم
الإسلام هي أصح الطرق.

عدم تصور
طبائع العلوم.
فلكل علم
عباقرته
ومبدعيه وهم
ليسوا على
درجة واحدة.

تقوم فكرة معارضة النقل بالعقل عند أهله على أساسين:

الثاني: لزوم تقديم العقل على النقل في حال المعارضة مطلقاً؛ لأنه المخرج الوحيد.



الأول : توهين دلالة النقل على المعاني والأحكام في مقابل تقوية الدلالة العقلية.



عالج ابن تيمية وتلميذه ابن القيم, رحمهما الله, هذين الإشكاليين:

- الإشكالية الأولى :
تقوم فكرة التوهين
من دلالة النقل على
فرضيتين:
- أن دلالة النقل دلالة خبرية
مجردة, ليس بها أدلة عقلية.
- أن الأدلة النقلية أدلة لفظية
لا تفيد اليقين.



ناقش ابن القيم هاتين الفكرتين في كتابه الصواعق المرسله وقد بلغت ردوده في تفكيك هاتين الفرضيتين أكثر من 73 وجهاً، ومما يمكن قوله اختصاراً:

إشكالية تجريد النقل عن الدليل العقلي :

- قولهم جناية علمية على الوحي؛ فإن القرآن والسنة مليئان بالدلائل العقلية.
- أخطأ من جعل الدليل العقلي مقابلاً للدليل الشرعي وقسيماً له، فالدليل العقلي في حقيقته واحد من أدلة الشرع التي تنقسم إلى:

- - أدلة سمعية/خبرية
- - أدلة عقلية.